مع المنجدية

تحدثت في مرة سابقة عن بعض اشكال القناعات والمسلمات التي تفرض نفسها علينا ، والتي لو امعنا بعض الفكر فيها لثبت لنا مدى عدم جدية تلك القناعات ، بل مدى زيفها .

ولكن بعض هذه القناعات لا تزال تفعل فعلها في طريقة رؤيتنا لبعض القضايا فتسمها بميسم التعميم ، وبذلك تبقى الرؤية ضبابية ، وتضيع حدودها فيتعذز تحليلها وتفسرها ، وبطول بذلك امر علاجها

لقد اثبتت كل تجارب التاريخ ان الرؤية المحددة للقضايا هي وحدها التي يمكن ان تقود الى وضعها موضعها الصحيح . والمسالة في الادب والفن تسير على نفس المنوال فالاديب الذي يتحدث بالامجاد القديمة والفروسية وصهوات الجياد لا ينطلق عن عاطفة ذاتية مزيفة ، ولكنه واقع حتى اذنيه في حماة تلك الرؤية والتربية الفكرية التي تبدأ بتلك القناعات ، والتي لا بد ان تؤدي الى ادب لا يستطيع ان يكون بناؤه الجمالي معاصرا في صورة وآفاقه .

قرات قبل ايام عنوان بحث يقول .. "رحمة بطبقتنا العاملة .. وحركتنا النقابية" وكاتب المقال نقابي باعه طويل في العمل النقابي ، وله معرفة جيدة واطلاع على فكر الطبقة العاملة . بينت للنقابي المذكور ان عنوان مقاله يعود بنا الى تلك الرؤية الشمولية للقضايا الوطنية والتي تتداخل فيها الاطراف ، وتصبح بؤرة الرؤية قومية المنطلق .. فنحن عندما نقول "رحمة بطبقتنا العاملة" فاننا ننطلق من ايديولوجية قومية والطبقة العاملة جزء من تركيب تلك الايديولوجية وبنائها "

تفرع بنا الحديث وتناول قضايا اخرى ، وبدانا نكتشف اننا حتى اليوم نردد الاناشيد والاغاني التي تعبر عن مرحلة تاريخية معينة من تاريخنا الوطني واننا لم نطور (الى حد بعيد) اغان واناشيد تعبر عنّ رؤية واضحة ودقيقة للمرحلة التاريخية التي نجتازها ، وتعبر من ناحية اخرى عن ذلك التوق الاجتماعي الذي نريده ان يسود حياتنا في المستقبل .

— محمد البطراوي —

القسم الثاني

نحو رؤية علمية للتراث

بعض مظاهر التفكير المادي في تراثنا الفكري

بقلم حمدان يوسف

امكانية معرفة العالم

ومن المسائل الهامة التي افترقت فيها المادية عن المثالية هي مسالة امكانية معرفة العالم ، وعلاقة افكارنا ومعارفنا بالعالم . وقد عبر انجلز عن هذه المسالة بقوله "ولكن مسالة علاقة الفكر بالكينونة لها ايضا جانب آخر : ما هي العلاقة بين افكارنا عن العالم المحيط بنا وبين هذا العالم نفسه؟ هل ان فكرنا قادر على التعرف على العالم الواقعي ، وهل نستطيع نحن بتصوراتنا ومفاهيمنا عن العالم ان نكون انعكاسا صادقا عن الواقع ؟ هذه المسالة تسمى باللغة الفلسفية تطابق الفكر والكينونة" .

الماديون يحيبون بالايجاب فهم يرون امكانية معرفة العالم . وبانعكاسه في وعيهم ، بينما يشكك المثاليون في ذلك او على الاقل التشكيك بامكانية معرفته كاملا .

وابن رشد يشير الى ان "العلم الصادق هو الذي يطابق الموجود" انه يضع هنا شرطا هاما للمعرفة هو تطابقها مع الواقع ، مع الوجود ، اى انه يطرح مسالة الانعكاس الصادق عن الواقع ، عن تطابق الفكر والكون ، وهو يعتبر الوجود سابقا على المعرفة ويصوغ ذلك بقوله " ان وجود الموجود هو علة وسبب لعلمنا " وانه "يكون تابعا للموجود" وبذلك فان المعرفة تتغير مع تغير الموجود ، "فان حدوث التغيير في العلم عند تغير الموجود ، انما هو شرط في العلم المعلول عن الموجود ، وهو العلم المحدث" .

وليس ابن رشد وحده الذي اتخذ مثل هذا الموقف المادي من المعرفة ، فقد سبقه لمثل هذا الموقف ابن طفيل في "حي بن يقظان" . الذي بين تاريخية المعرفة وتطورها .

ويشكل الموقف من مسالة السببية احد الجوانب الهامة في التفريق بين المادية والمثالية . "فالمادية تعترف بالعلاقة السببية للظواهر وتعتبر هذه العلاقة موضوعية مستقلة عن ارادتنا ووعينا كما تعترف بانعكاس هذه العلاقة في دماغ الانسان انعكاسا صحيحا الى هذا الحد او ذاك اما المثالية فهي تنكر العلاقة الشرطية السببية لجميع ظواهر الواقع ، او تستنتج السببية لا من العالم الموضوعي ، بل من الوعي ، من العقل" — المادية الديالكتيكية ١٨٨— .

وحول هذه النقطة ايضا اختلف المفكرون العرب فبينما نجد ان الفارابي وابن سينا وابن رشد هم من القائلين والمبرهنين على السببية او العلية ، نجد ان الغزالي يرفض السببية ولا يقر بها .

التفسير المادي للمجتمع

ومن الانجازات الكبرى للماركسية انها لم تبق المادية في اطار الفلسفة فقط ، بل وسعت النظرة المادية لتشمل الاحداث والظاهرات الاجتماعية وبينت ان وعي الناس مرتبط بمعيشتهم وليس العكس ، وان النظم الاجتماعية التي يعيش في ظلها اهل عهد تاريخي معين وبلد معين يشترطها الانتاج .

وليست هذه النظرة المادية للتاريخ بغريبة عن العرب ولا غائبة عن تراثنا . فالمفكر العربي الكبير ابن خلدون يعتبر صاحب "اول محاولة لتحديد القوانين التي تسير المجتمع" — بارتولد ١٩٠٣ — ، وانه "اول من اشار الى دور العوامل الاقتصادية وعلاقات الانتاج" — غوركي ١٩١٢ — ، و "رائد المادية التاريخية" — لاكوست — .

وفي مقدمة ابن خلدون نجد هذه العبارة الموجزة البليغة "اختلاف الاجيال في احوالهم هو باختلاف نحلتهم من المعاش " ، والمعاش عند خلدون هو "ابتغاء الرزق وفي تحصله " ، فالانسان بالطبع الى ما في حالاته واطواره يقومون الى اشده وكبره من في الرزق ، ويتحدث ابن خلدون عن المعاش قبل ان يتحدث نتاجات الفكر من والصنائع ، والعلوم عنده طبيعي يشمل الحكمة والفلسفة ونقلي يشمل الشرعيات . ويعلل ابن خلدون سبب تقديمه للمعاش على بقوله "لان المعاش ضروري وتعلم العلم كمالي او حاجي والطبيعي اقدم من الكمالي" اننا نجد في عبارات ابن خلدون عن اختلاف الاحوال باختلاف المعاش تعبيرا اخر لحقيقة النظم الاجتماعية تتغير بتغير الانتاج ، واقدمية الطبيعي على المعاش — على الكمالي — هو تعبير عن تقدم العلم على الفكر ، ان مفهوم ابن خلدون هو تعبير اخر للمفهوم الذي يؤكد ويبرهن على الظروف الاجتماعية الانسان والمفاهيم الفكرية عنها تعتمد على اسلوب الحياة المادية — نحلتهم المعاش — .

وامام هذه الحقيقة لا يستطيع حتى مفكر كالغزالي ان يجد له مفرا للاعتراف بان نظام القاعدة الاقتصادية — شرط الدين (احد جوانب الفوقي) .

فالغزالي يذكر في كتابه "في الاعتقاد" والمؤلف هام للهجرة : "نظام الدين لا الا بنظام الدنيا .. الدين بالمعرفة والعبادة يتوصل اليهما الا بصحة وبقاء الحياة وسلامة قدر من : الكسوة ، والاقوات ، والامن .. فلا الدين الا بتحقيق الامن هذه المهمات الضرورية .. نظام الدنيا شرط لنظام الدين

— عن مقالة في افاق عربية ٥ — ١٩٧٧ —

تعال معي

لاجل هـذا
انا هنا في رفقتـك :
لاجل سيادة شيلـي الزرقـاء
لاجل المحيط ولاجل كافة صياديه
لاجل خبز اطفالنا العادل
لاجل النحاس
ونيترات الصوديوم الممزوجة بالالام
لاجل الدقيق والنضال الفلاحي
لاجل الرفيق الطيب ، ولاجل الصديقة
لاجل البحر ، لاجل الوردة
ولاجل السنبلة
لاجل مواطنينا الذين ننساهم
والطلبة والجنود والبحارة
لاجل شعوب كل البلدان
لاجل الاجراس ، وكذلك الجذور
لاجل الدروب ، ولاجل الطرقات
التي تقود هذا العام منذ الان
نحو النهار
ولاجل ارادة الحرية
لكل راياتنا الحمراء المرفرفة
في الفجر
ان كامن فرحي يكمن في هذه
الوحدة
فناضل الى جانبي
كي ١١ تمنك على كل اسلحة شعرى

بابلـو نيـرودا

إضاءة

" ان المالك الصغير (هذا النموذج الاجتماعي الذي يمثل في من البلدان الاوروبية جمهورا غفيرا للغاية) ، اذ يعاني في الراسمالية ظلما دائما ، وغالبا ما تسوء حياته بشدة وسرعة خارقة الدمار ، يصاب ، من جراء ذلك بسهولة ، بالافراط في الثورية ، غير قادر على ان يبدى الثبات والصمود ، والتقيد بالنظام والبرجوازي الصغير ، الذي "يتهيج" من فظائع الراسمالية ، كالفوضوية ، ظاهرة اجتماعية خاصة بجميع البلدان الراسمالية ، عدم ثبات هذه الثورية وعقمها ، وقابليتها للتحول سريعا الى وخمول ، وتخيل ، وحتى الى شغف "محموم" بهذا او ذاك البرجوازي الذي غدا "موضة" ، ان كل ذلك معروف للجميع".

— لينين —